بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا الإسلام؟

شيماء بالزي

إهداء

السلام عليكم،

كونك حملت هذا الكتاب، فلا بد أن في داخلك رغبة في قراءته، أو على الأقل استوقفك عنوانه وأثار فضولك.

قد تعتقد أنه موجه لفئة معينة، وإن لم تجد نفسك منها، فقد تميل إلى تركه، وهذا ما لا أريده. فأنا لم أكتبه ليقصي أحدا، بل ليكون فرصة للتساؤل والتفكر، فاغتنمها قبل أن تمر، فقد يكون سببا -بعد فضل الله- في تغيير بعض أفكارك، أو على الأقل إعادة ترتيبها.

"إلى كل من يرفض المرور على الحياة دون أن يسأل."
"إلى من يجرؤ على السؤال والتفكر."
"إلى العقول التي لا تكتفي بالسطح."

مقدمة

من الأفكار التي أؤمن بها، أنه لا شيء في هذا الكون نتج من العدم، قد لا نعلم من ماذا، لكن المهم أنه من شيء.

وكذلك فكرة هذا الكتاب، فلماذا اخترت كتابة كتاب يتناول موضوعا دينيا، ولماذا تحديدا هذا الموضوع؟

أظن أن هذا راجع إلى حاجتي لما سأقوله في هذا الكتاب؛ ففي مرحلة من عمري، كنت أحتاج وبشدة إلى هذه الإجابات والحمد لله وجدتها، وإلا لما كان هذا الكتاب.

فقررت أن أجمعها في كتيب لحبي للكتابة أولا، ولرغبتي في إفادة الناس ثانيا، وثالثا لأني سأشعر بفخر كبير إذا رأيت كتابا طبع عليه اسم "شيماء بالزي" ضمن قائمة كتبي.

ضمن هذا الكتاب سأحاول تقديم إجابات بسيطة ومنطقية للمتسائلين مثلي، إجابات لأسئلة قد تراودنا في حياتنا اليومية، لكن ربما لم نهتم بها إلا ونحن في طريقنا إلى التوبة.

أيضا أحببت أن نتعاقد في البداية على شيء مهم للغاية في رحلتنا مع هذا الكتاب: ***اقرأ بعقل ومنطق وليس بعاطفة أو تعصب*** .

أتمنى لكل قارئ لهذا الكتاب أو حتى مقتطف منه أن يخرج باستفادة مهما كانت صغيرة، ولو لم يكن محبا لمثل هذا النوع من الكتب أو المطالعة عامة.

هل الله موجود؟

أتذكر وبشدة أن هذا السؤال طرح أمامي ثلاث مرات على الأكثر، وكنت كل مرة أسمعه أصدم من السائل كيف يمكنه أن يكفر بالله**!** (كنت أعتبر مجرد التساؤل كفر) لكن عندما قررت التعرف على ديني أكثر، أردت أن تكون لدي ولو فكرة واحدة أقنع بها نفسي وغيري أن الله موجود؛ لأني كنت مثل معظم الناس الذين يقولون إن الله موجود أبا عن جد دون أدنى تفكير، ولأن مجتمعنا يقول الشيء نفسه.

فهل كنا سنقول نفس الشيء إن كنا في مجتمع يقول العكس؟

قرأت وأنا في الثانية عشرة من عمري كتاب **"في قلبي أنثى عبرية"** *للكاتبة خولة حمدي*، قد أقول إن كل ما أذكره أو بالأحرى كل ما استفدت منه، أنني وبشدة أجهل ديني وأن أولئك الذين لم يكونوا على الإسلام والحمد لله أصبحوا عليه يعرفونه أكثر مني وذلك لأنهم بحثوا وتيقنوا أنه الدين الصحيح.

سأسألك سؤالا وأنت أجب عليه في قرارة نفسك، من كتب هذا الكتاب؟ طبعا ستجيب **شيماء بالزي.** لن تستطيع أن تقول إنه كتب لوحده، هل القلم بدأ يكتب دون فعل فاعل؟ هذا لا يمكن .

لا شيء يحدث من تلقاء نفسه، لا بد أن هناك قوة خفية، ظاهرة كانت أو مخفية. لا أعلم حقا كيف يؤمن البعض بنظرية الانفجار العظيم**!** يقولون إن الكون من نقطة صغيرة جدا شديدة الكثافة والحرارة تعرف **بالمتفردة.**

إن قلنا إنه خلق من تلك النقطة، فنحن لا نسأل مماذا خلق الكون، بل نسأل من الذي خلق الكون أو من الذي خلق الشيء الذي خلق منه الكون؟ إذا فمن خالق هذه المتفردة؟

إذا ما حاولت فقط التفكير بالعقل والمنطق ستعرف أنه لابد من وجود خالق لهذا الكون بأسره، ربما قد تمنعك أفكار أخرى من الإيمان بهذه الفكرة، على سبيل المثال: *ومن خلق الله؟ لماذا لا نرى الله؟ ما الهدف من خلقنا؟*

لكن يا صديقي نحن لا نصعد الدرج دفعة واحدة، بل درجة بدرجة.

لهذا لا تهتم الآن بمثل هذه التساؤلات وركز فقط معي على وجود الخالق.

أتعتقد يا صديقي أن الإنسان خلق صدفة؟ هل الصدفة استطاعت أن تخلق كل بشر بنفس الطريقة وبنفس الشكل؟ بعينين في الوجه وأنف واحد يتوسطه؟ لماذا لا نجد بشرا ذا أنف في البطن مثلا؟ هل الصدفة تمكنت من ألا تخطئ أبدا في جعل بصمة كل إنسان مختلفة عن الآخر.

إن كل كائن حي يحتوي على شفرة جينية معقدة تشبه برنامج حاسوب متطور، والحمض النووي يشمل معلومات تخبر الخلية كيف تعمل وتتطور.

أتكتب هذه المعلومات دون عقل مدبر؟ أجاءت هذه الشيفرة المعقدة من الصدفة؟

ألا ترى أن هذا الكون صمم خصيصا ليناسب حياتنا؟

لو تغيرت قوة الجاذبية بنسبة صغيرة، فإن الكون إما سينهار على نفسه فورا أو يتمدد بسرعة كبيرة تمنع تكون النجوم والكواكب.

"إذا كانت الجاذبية أقوى أو أضعف قليلا، فإن الحياة ستكون مستحيلة"

هذه كانت مقولة العالم الفيزيائي مارتن ريس في كتابه[1] ***Just six numbers***

وذكر أيضا أن الجاذبية مضبوطة بدرجة مذهلة. قال إن الكون كله يعتمد على ستة أرقام فقط، وهي ثوابت فيزيائية دقيقة، لو تغير أي رقم منها ولو قليلا، لن يكون هناك كون قابل للحياة.

الرقم الأول: نسبة قوة الجاذبية إلى قوة الكهرباء (عدد ضخم حوالي 10^{36} يحدد مدى ضعف الجاذبية مقارنة بالقوة الكهرومغناطيسية، لو اختلفت قليلا لما تكونت نجوم مثل الشمس).

الرقم الثاني: كفاءة اندماج الهيدروجين في النجوم (قيمة حوالي 0,007 وهي النسبة التي تتحول من الكتلة إلى طاقة في النجوم، ولو كانت 0,006 فلن تكون هناك طاقة كافية من النجوم، وإن كانت 0,008 فستحترق النجوم بسرعة وتنتهي).

وغيرها من الثوابت كالثابت الكوني – الطاقة المظلمة – كثافة المادة في الكون

---

[1] *كتاب علمي شهير للكاتب مارتن ريس، عالم الفيزياء الفلكية البريطاني. كتب كتابه هذا سنة 1999م وهو من أبرز الكتب التي تثبت دقة الكون.*

ربما قد وصلت الآن إلى النتيجة الحقيقية وأدركت أن هناك خالقا، لكن أشك أنك قد تواجه مشكلة تبدو عظيمة إلا أن إجابتها بسيطة للغاية.

تابع وفكر

من خلق الله؟

صديقي، صديقتي

إن راودك هذا السؤال، فلا تحسبن نفسك ملحدا أو كافرا، فهو سؤال يخطر ببال البشر.

وحتى في ديننا الإسلام علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن نفسنا ستحدثنا بهذا السؤال، وقد أعطانا حبيبنا صلى الله عليه وسلم الحل، (الحل في آخر الفصل).

هل إن سألت يا صديقي من خلق الخالق وأجبتك: الخالق، فسألتني ومن خلق هذا الخالق، فقلت لك ثانية الخالق. . . أتظن أن جلسة هذا السؤال ستنتهي؟ أؤكد لك أنها لن تنتهي يا صديقي، وأننا سنبقى في هذه الحلقة المفرغة، ليس لأنه لا جواب لسؤالك، بل لأن السؤال خاطئ بكل بساطة.

لا تستغرب يا صديقي ودعني أكمل ما بدأته، أنت سألتني، من خلق الله؟ أو بصيغة أخرى، من خلق الخالق؟

تمعن جيدا في السؤال، أرأيت شيئا غريبا؟

ليس بعد!

إذا أعد تمعنك في الكلمات، واربطها بالمنطق.

حسنا لا عليك، أنا سأخبرك بالخطإ.

إن سؤال: من خلق الخالق؟ ليس له معنى، فهل يخلق الخالق أصلا؟

إن خُلق فسيسمى مخلوقا وليس خالقاً.

جال في خاطري وأنا أكتب الآن، أن هناك من سيقدم مثالا معارضاً يراه صحيحا، وهو:

إن الإنسان مخلوق، وقد خلق هو أيضا أدوات وملابس وغيرها؛ بمعنى أنه يمكن الجمع في الوقت ذاته بين أن يكون الشيء مخلوقا وخالقا. لكن يا صديقي لا تخلط بين المفاهيم، فالإنسان لم يخلق أشياء، بل صنعها.

فعندما نتحدث عن فعل "الخلق"، فهو إيجاد شيء لم يكن من اللاشيء.

قد تسألني، لقد ذكرت من قبل أنه لا يمكن أن يوجد شيء من العدم. قصدت بذلك أنه لا يمكن أن يكون العدم وفقط ثم يخلق شيء. ولهذا استنتجنا أن وجود الخالق ضرورة مطلقة، وبما أن الخالق موجود فهو يستطيع أن يخلق أي شيء دون أن يحتاج إلى شيء أو شخص؛ لأنه يمتلك صفة الخلق ولا أحد يمتلكها غيره.

فالعدم لا يمكن أن يخلق لنا شيئا، بل الخالق وحده من يمكنه أن يخلق لنا أشياء من العدم.

لا أعلم يا صديقي إن وضحت لك الرؤية أم لا، لكن لا عليك، أعد القراءة عدة مرات ثم تابع!

إنه لمن الصعب يا صديقي أن أعطيك مثالا، خصوصا أنني أنا وأنت لا نستطيع تخيل "اللاشيء" أو "العدم"، فما نراه نحن لا شيء وفراغا، فهو مليء بالكثير من الأشياء التي نعرفها، وأغلبها لا نعرفها.

لكن لنحاول ذلك.

لو كنت تنظر من نافذة تطل على غرفة فارغة تماما من كل شيء، وجلست تنتظر وتنتظر، أ سيُخلق شيء؟ لا. ليس هناك من يخلق ذاك الشيء أصلا. لكن إذا ما وضعنا فيه شخصا يتصف بصفة الخلق -لا أحد يتصف بذلك غير الله- فبالتأكيد سننتظر وكلنا يقين أنه يستطيع فعل ذلك يا صديقي.

لنعد!

كما أخبرتك من قبل، السؤال خاطئ، سأعطيك مثالا أبسط لتفهم به الخطأ.

لنأخذ الامتحان الوطني للباكالوريا في أي دولة شئت، علقت النتائج، نال المرتبة الثالثة Z وسألتك ومن قبله، أجبتني Y هو من في المرتبة الثانية، فسألتك مجددا، ومن في المرتبة الأولى؟ وأجبت: X

أ إن سألتك من قبله أسيبدو لك سؤالا منطقيا؟ أستجيبني عليه يا صديقي؟

إن فعلت ستخبرني أن لا شيء قبل الأول، فالأول هو الأول، وإن كان قبله شيء لما سمي بالأول.

حسنا يا صديقي أشعر أن عقلك الآن يضج بالأفكار ويحاول الفهم، لا تخف إن الأمر بسيط للغاية، فقط أعد القراءة مرة أو مرتين أو أكثر حتى تفهم. خذ وقتك!

الحديث النبوي

قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: **(لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال هَذَا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد في ذلك شيئا، فليقل: آمنت بالله)**

هنا نفهم يا صديقي أن التساؤل شيء طبيعي في الإنسان، وأن النفس قد تحدثنا بذاك السؤال الذي حاولنا الإجابة عنه في هذه الفقرة فلا تحسبن نفسك كافرا -إن كنت مسلما-.

لماذا لا نرى الله؟

اسمح لي يا صديقي أن أخبرك بقصة قصيرة وقعت لي قبل أن نسترسل في الإجابة عن هذا السؤال.

حين أتممت خمسة عشر عاما، وضعت هدفا بأن أكتب هذا الكتاب الذي بين يديك ويطبع قبل أن أتم السادسة عشرة، وبالفعل بدأت أعمل على ذلك وكتبت حوالي45صفحة فوقعت حادثة بسيطة أدت إلى محو كل كتاباتي.

وها أنا الآن بدأت الكتابة من جديد، وحين وصلت إلى هذا الفصل تذكرت أن في كتاباتي السابقة تطرقت مجملا إلى شقين لأجيب عن هذا السؤال، كان الأول طبعا بأسلوب بسيط متواضع لكنه عقلاني، والثاني تطلب بحثا. لكن لا أعلم لم أحببت الآن أن أركز كثيرا على الطريقة المعتادة.

أتعرف يا صديقي، لن أطيل عليك وسأعطيك مثالا بسيطا لتفهم الإجابة إن شاء الله.

تخيل أنك أستاذ في الثانوية العامة مثلا، وحان وقت امتحان الباكالوريا وأنت لديك دور الحراسة، وكان هناك تغيير أنه سيقدم للتلاميذ ورقة الامتحان ومعها ورقة فيها كل الأجوبة الصحيحة، أفي نظرك سيبقى هذا امتحان للمعارف؟ هل ستبقى لهذا الامتحان قيمة إن نحن أعطينا للتلاميذ الإجابات الصحيحة كاملة؟

لا أعرف هل استطعت أن تربط الأمور أم ليس بعد!

لا عليك يا صديقي، أنا سأفسر لك.

إن كنا نرى الله سبحانه وتعالى؛ فحينها كلنا سنؤمن بوجوده، ولن يكون هناك فرق إذا بيننا في الإيمان، لكن الامتحان يكمن في التصديق والإيمان دون أن نرى بأعيننا.

إن كنا نفترض أننا في امتحان، المبتغى منه أن نفرز من سيصدق ومن لا، دون أن يرى كليهما الشيء الذي سيمتحنان فيه بل فقط بالاعتماد على أدلة عقلية ونقلية، فلن يكون لهذا الامتحان معنى إن رأينا ذلك الشيء ونحن في الامتحان، إذ أننا حينها سنقر بوجوده؛ وينتهي كل شيء.

ولله المثل الأعلى، الله أعطانا عقلا لنفكر به ولنتدبر، وبين لنا آيات وأدلة عقلية ونقلية ويبقى الامتحان من سيؤمن ومن لا.

لنفترض أننا كنا ثلاثة ونلعب لعبة، أخبرتكم أني أخفيت شيئا دون أن تروه وراء ستار أسود، وأعطيتكم أدلة تثبت وجوده، وأنت صدقت بينما الآخر لم يفعل ولم يُرد أن يصدق، فتخيل لو أنني أزلت الستار، أمن المنطقي حينها أن نتساءل حينها أهذا الشيء موجود؟ (أتمنى ألا تفكر بعيدا وتتساءل أكل ما نراه موجود، لأن ليس هذا ما أريد أن أوصله لك)

المهم يا صديقي أتمنى أن تكون معي في الخط، سأحاول أن أكرر بشكل ربما أبسط وأكثر اقتضابا.

ما أود أن أقوله لك يا صديقي أن الاختبار لن يسمى اختبارا وبحوزتك ورقة الإجابة. ولله المثل الأعلى، فإذا أراد الله أن يمتحننا أينا سيؤمن بوجوده فلن يرينا نفسه، فحينها لا داعي لذلك الاختبار. المهم يا صديقي

لا أعلم إن كنت قد أوصلت إليك الفكرة كما أريد، لكن ربما إذا أعدت قراءة المقطع مرات ستستطيع فهمي.

أتعرف؟ خطر في بالي الن أن أتحدث قليلا عن الشق الثاني، لا أتذكر بالضبط ما كنت قد كتبته، لكن بما أن شعاري في هذا الكتاب هو **"لنفهم ببساطة"**، فسأحاول أن أمنحك المختصر المفيد بإذن الله.

صديقي، لا أعلم من أي نوع أنت أو بأي أفكار تؤمن، لكن أتمنى أن تكون مؤمنا أن الإنسان قاصر، نعم يا صديقي قاصر، فعقلنا محدود جدا ولا يمكنه أن يفهم كل شيء.

نبدأ بمثال بسيط، لنفترض أننا روبوتات نعمل بالطاقة الكهربائية، لن نتصور حينها أن هناك من يعيش بدون كهرباء لأننا مبرمجين على العمل بالطاقة الكهربائية وكل من حولنا نفس الشيء، فكذلك نحن لن نتصور بماذا يعيش الله وكيف أنه لا يأكل ولا يشرب.

بخلاصة يا صديقي، دعنا لا نتوغل فيما لن نفهمه، لا تحسب أنني بهذه الطريقة أقول لك لا تفكر أو لا تُعمل عقلك، بل فكر واعمل عقلك فيما ستفهمه، إن الانسان كلما أدرك شيئا تيقن أنه أكثر جهلا من ذي قبل، لأن الانسان الجاهل يرى نفسه عالماً والعالم يرى نفسه جاهلاً. صديقي إننا نرى أشياء مؤطرة في زمان ومكان معين، لا نستطيع أن نرى بأعيننا منزلا في الشمال واخر في الجنوب في نفس اللحظة، فكيف بالله الذي لا يحيطه لا زمان ولا مكان. إننا لا نستطيع حتى النظر للشمس لمدة طويلة فكيف لنا أن نرى الله. صديقي، إن عقلنا لن يتخيل ولن يستطيع أن يفعل

حتى لو أراد، كيف هو الله لدرجة أننا لا نستطيع رؤيته، إنك عندما تؤمن أن عقولنا قاصرة ستفهم الأمر حينها.

الله خلقنا وهو جعل عقلنا هكذا، جعل له حدودا مثلما جعل الصانع للحاسوب حدّاً في اختزان المعلومات.

بخلاصة يا صديقي نحن لا نرى الله لأن هذا اختبار، ولأن عقلنا قاصر.

لماذا خلقنا الله؟

لا أعلم لما لكني أحس أن هذه الفصل ستكون أقصر فصل إلى الان، ربما لأني أرى أن الإجابة ليس فيها تفصيل.

المهم يا صديقي، *سأخبرك بسر*، عندما كتبت هذا السؤال أجبت عنه في دماغي ببساطة قائلة {خلقنا لنعبده}، لكن هنا بدأت الأسئلة حقا، لكن هل الله يحتاج لعباداتنا؟ وكيف بالله أن يحتاج إلى عبادتنا أصلا؟ وإذ لم يكن كذلك فلم يخلق شيئا لشيء هو لا يحتاجه أصلا؟

أتعرف، حقا لم أفكر يوما بهذه المسألة، كنا ندرس أننا خلقنا للعبادة، مستشهدين بقوله تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ". المهم يا صديقي، أرى أنه إذا استمررنا هكذا سنضل طريقنا ولن نعرف من أين نبدأ.

بخلاصة يا صديقي -ورغم أننا لم نقل شيئا أصلا لنلخصه-، إلا أنني كما أخبرتك من قبل فهذا ربما أقصر فصل في هذا الكتيب الصغير.

نحن خلقنا للعبادة.

نعم يا صديقي كما قرأت، خلقنا لنعبد خالقنا، لا تستعجل وتريث وكن صبوراً فربما تجد أجوبة لأسئلتك في تتمة الكتاب. إن سألتني، ولم نعبده؟ أقول لك، لأننا خلقنا لذلك. سأضرب لك مثالا واضحا وضوح الشمس في النهار عله يساعدك على الفهم.

لا بد أنك سمعت بالبرمجة، نعم كبرمجة الحواسيب والهواتف وآلة الحساب وكثير من الآلات البسيطة والمعقدة. إذا كانت الة الحساب مبرمجة أن تحسب فلن تسأل لم تفعل ذلك لأنها برمجت عليه.

فلنقم بتطبيق بسيط !

خذ نفسا عميقا ثم اقطعه ولا تتنفس، ابق كذلك. أتستطيع؟ بالطبع لا، ستأتي لحظة فتزيل يدك عن أنفك وتتنفس لا إراديا. أنت لن تستطيع أن توقف نفسك لماذا إذا؟

لأن عقلك مبرمج على أن يتنفس وأن يقاوم من سيصده عن ذلك.

"أتعرف في هذ السياق خطرت في بالي فكرة أؤمن بها وبشدة، هي أن الإنسان فُطر على الصراع للبقاء، لو قرر أحد الانتحار ورمى نفسه في بحر وكان له الاختيار وهو يغرق أيود أن يبقى كذلك أم ننقذه لاختار أن يعود للحياة رغم أنه من اختار الموت في البداية، فنحن جبلنا وفطرنا على الصراع للبقاء أحياء"

سمعت يوما في بودكاست أن الإنسان بفطرته عبدٌ، منا من يعبد الله ومنا من يعبد المال ومنا من يعبد الحيوانات ومنا أيضا من يعبد أهواءه وشهواته، المهم أننا عبادٌ شئنا ذلك أم أبيناه. هناك من سيكذب على نفسه ويقول لا، أنا لا أعبد، لكن في داخلك أنت تعلم جيدا أنك تعبد سواء شيئا أو شخصا، فمهما كذب الإنسان على غيره فلن يستطيع أن يكذب على نفسه مهما حاول. قد تسألني إن كان الله خلقنا لعبادته فلماذا نجد من لا يعبده، يا صديقي لنفرق بين الغاية والواقع، غاية وجودنا في

هذه الدنيا هي عبادة الله لكن هذا ليس ما نراه. إن الله خلق الإنسان وفطره على العبادة وأخبره أن غاية وجوده هنا هي عبادته وحده، وأعطاه دلائل تثبت ذلك، لكنه في المقابل منحه حق الاختيار لأن هذا امتحان، فعبادة الله هي اختيارية وليست قسرية، لأن الامتحان يقتضي ذلك، لكن اعلم أنك ستحاسب على أجوبتك.

هل الله يحتاج لعبادتنا؟

أتعرف يا صديقي؟ إنني لن أجيبك عن هذا السؤال كما هو معتاد، لأننا بدأنا نتطور أكثر، ونفهم ونحلل.

أتعرف، إن كوننا إنسان مخلوق ولدينا فكرة الخالق، وبعقلنا الجميل هذا، فنحن نُألِّه أنفسنا ونتصور أن القوانين المطبقة على المخلوقات تطبق على الخالق.

نحن مثلا نأكل لأننا نحتاج إلى الأكل، ونشرب لأننا نحتاج الماء، نعمل لنكسب المال لأننا في حاجة إليه، حتى الترفيه فنحن نرفه عن أنفسنا لأن نفسنا تحتاج إلى ترفيه وراحة. لكن، المشكل يكمن في أننا نتصور ونعتقد أن نفس الأمر ينطبق على الخالق وأنه ايضا يفعل الأشياء لأنه يحتاج إليها، لكن هذا تصور خاطئ تماما، فلا يصح أبداً أن يكون الخالق مثل المخلوق أو أن تنطبق عليه نفس القوانين.

أعرف أن الأمر ليس بالهين عليك ولا على أي إنسان، صعب لأن عقولنا تود أن تفهم، تود أن ترسم في مخيلتها صورة للخالق وماهيته ولا تدري أن من خلقها وضع لها حدودا لن تتجاوزها.

بما أن عقلنا قاصر يا صديقي فليست كل الأمور تفهم بالعقل، بل هناك أمور نسلم بها ونصدقها، وهذا هو الأمر الأصعب والأروع.

هنا يكمن الاختلاف بين من يؤله نفسه وعقله القاصر كبعض فلاسفة التنوير، وبين من يؤمن أن عقله محدود ويسلم ببعض الأمور، فانظر أيهما أنت.

أنحتاج رسالة من الله؟

أظن يا صديقي أن هذا الفصل لن يصعب عليك إذا ما كنت قد أدركت فكرة أن العقل البشري محدود ولا يستطيع أن يدرك الأمور وحده.

من أوائل ما نبدأ بدراسته في الفلسفة هو فكرة أن الإنسان عندما وجد كان يطرح أسئلة عدة من قبيل: من أنا؟ لماذا أنا هنا؟ أين أنا؟ وغيرها من الأسئلة.

هل لاحظت يا صديقي أنك أنت وأخوك لا تتفقان في الكثير من الأفكار والآراء؟ بل وكذلك الفلاسفة كل يبدي رأيا مختلفا عن الآخر، حتى في البرلمان تجدهم شبه متصارعين، كل يقر بأن رأيه هو الحق، كل يحاول إثبات أن ما يقوله هو الصواب.

أحقا نستطيع أن نعرف الحق من الباطل لوحدنا؟

لنفترض أن هناك نزاعا بين طرفين، الأول يقول إن الإنسان يجب عليه اتباع قلبه، بينما يرى الاخر أن العقل هو ما ينبغي اتباعه. وهناك أشخاص يودون الحكم بينهما، ماذا ستكون النتيجة في نظرك؟ سأخبرك: من يؤيد فكرة الطرف الأول سيقول إنها الصائبة، ومن يؤيد فكرة الطرف الثاني سيقول بل الفكرة الثانية هي الصحيحة.

لكن كيف سنعرف نحن أي الطرفان على حق؟

إذاً فحكم الإنسان على الشيء ذاته يختلف من شخص لآخر وبذلك لا نستطيع الحسم أيهما أصح، فلذلك الانسان لا يمتلك الحقيقة ولا يعرف الصحيح من الخطأ. وبهذا فهو يحتاج إلى قوة أخرى أعلم بكل شيء، قوة خارقة كاملة لا نقص فيها، قوة تدري ما الحق وما الباطل.

وأيضا يا صديقي ألا ترى أن لكل دولة سواء ملكا أو رئيسا أو...؟ المهم أن هناك من يترأسها ويدبر شؤونها ويشرع قوانينها. دعنا لا نبتعد كثيرا ولننظر بجانب أقدامنا، في رأيك هل سيكون حال منزلين سواء، أحدهما يسيره ويدبره أبوين أو شخص ما، والآخر يفعل كل من فيه ما يحلو له دون تدخل من أحد؟

فإذا يا صديقي إن كان منزلك ومنزلي وجميع المنازل والدول تحتاج إلى قوانين، إلى نظام، فكيف بهذا الكون العظيم؟ أحقا سيتركه خالقه دون أن يضع قوانينه الصحيحة، وكيف يجب أن تسير فيه الأمور؟

ما هي هذه الرسالة؟

أحببت أن أقول لك يا صديقي أن من عنوان الكتاب هدفي أن أخبرك أن الإسلام هو الدين الحق، ولذلك فمن الطبيعي أن أقول لك أن القران هو الكتاب الحق وهو رسالة الله لنا.

لكني لا أحب أن أقدم لك الإجابات بهذه الطريقة المباشرة، فما أجمل إعمال العقل؛ وأن تجد الشيء بنفسك بعد بحث، حينها تستشعر حلاوته وتؤمن به أكثر.

لكن صراحة، أنا لست عالمة بالقران، ولست أصلا أهلا لأقارنه لك بالكتب الأخرى، أو أبدأ بتقديم تفاسير وغيرها عنه، لا أريد أن اخذ معلومات هكذا من الإنترنيت وأقدمها لك بطريقة باردة، لا أرغب في أن أدعي العلم أو أقول لك ما لا أعلم.

هدفي أن أوصل لك إجابات بشكل بسيط عن أسئلة مهمة أراها مفتاح كل شيء، هدفي أن أجعلك تفكر، أن أحررك ولو قليلا من معتقداتك وتفكر بفطرتك وعقلك السليمين، -أعلم أن هذا صعب- ولست هنا لأحدثك بما لا أعلم وما لا أتقن. لهذا لدي طلب صغير لك:

إن كنت غير مسلم فأنت بحملك لهذا الكتاب؛ وفتحك له؛ بل وبقراءتك له فأنت تبحث عن الحق، فأدعوك يا صديقي للمس المصحف ولفتحه، اعط لنفسك فرصة ولا تضيع مجهودات بحثك فقط لأنك خائف، ربما لأنك خائف من فلان أو فلانة، أو ربما لأنك تخشى مصاعب، أو لأنك تحمل رؤية سيئة عن المسلمين أو غيرها. حاول أن تتجرد من كل

الحواجز وأقبل ولا تخف واعط لنفسك فرصة، لن أقول لك أسلم أو هيا ادخل الاسلام، سأقول لك، تابع بحثك عن الحق واعط لنفسك فرصة للمس المصحف، وسماع أو قراءة القرآن إن استطعت.

إن كنت مسلما فأنت تؤمن بأن القران كلام ربك، بأنه كلام خالقك، تأمل في هذه العبارة جيداً: **القران كلام خالقك.**

مرة كنت أقرأ القران فذرفت عيني دموعا، سألتني أختي ما بك؟ قلت لها، أذكر أنني كنت أحب المغنية فلانة فحفظت تقريبا كل أغانيها وأعرف زوجها وأتابع حياتها! يوميا، أما المصحف فقد علاه الغبار، ألمسه من رمضان لآخر ونادرا في الأيام الأخرى، لا أحفظ فيه إلا أقصر السور لتسد الحاجة في الصلاة، أما ربي فحتى أسماءه لا أحفظها.

والله إن الأمر ليحزن القلب.

وددت أن أشبه قلبي بالحجارة لقسوته وعدم خشوعه، فتذكرت قوله تعالى: {لو أنزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله} فأين قلبي وأين الحجارة والجبل، أظن أنك فهمت ما أود أن أقوله لك.

حاول أن تتعامل مع القران ككلام خالقك وربك، حاول أن تقرأه بجوارحك، حاول أن تنصت إليه بقلبك، حاول أن تبني معه علاقة محبة، حاول...حاول...حاول يا صديقي.

كيف سنفهم هذه الرسالة؟

أبسط مثال يا صديقي أنك لو اشتريت هاتفا أو تلفازا لوجدت معه كتابا، أ بالضرورة ستفهم هذا الكتيب؟ ربما ستستطيع ذلك إن كنت دارساً للغته من قبل وتفهم في تلك الأمور. لكن تخيل أنها جديدة عليك وأنها تطلب منك القيام بأشياء لم تفعلها من قبل.

ألن تفضل أن ترى أمامك مثالا حيا نفتدي به؟ تخيل يا صديقي أنك طالب طب أسنان مثلا، وودت أن تعرف وتأخذ أفكار من تجارب من سبقك وفتح مشروعه أو عيادته، أستطلب ذلك من خباز؟ أو من مهندس؟
أو من أستاذ؟
لابد أن العقلاني هو أنك ستستشير طبيب أسنان لأنه يتشارك معك في ذاك الأمر وستفهمه ويفهمك. فلو ذهبت لخباز لأعطاك نصائح تتعلق بالخبز -غالبا- وكذلك الأمر لجميع المهن والأمور. ما أود أن أقوله لك يا صديقي هو أن مثالك وقدوتك التي ستضعها نصب عينيك يجب أن تكون مثلك في ذاك الشيء الذي تريد تحقيقه لتتفاهما وتتوافقا أكثر. (لا أعرف إن كنت وجدت خيطا بين الذي أقوله لك أم أنني أكتب بعشوائية)، لكي لا أطيل عليك.

نحن نحتاج إلى بشر وإنسان مثلنا فاهم لهذه الرسالة ليكون دليلنا ومرشدنا وقدوتنا. لماذا الإنسان أفضل وليس ملَكا أو كائنا اخر؟ لأننا بشر وإنسان والتواصل بين شيئين من نفس الطبيعة سيكون أكثر انسجاما وأريحية.

أنظر فقط لنفسك مع صديق مثلك وصديق مختلف عنك، أيهما ترتاح معه أكثر؟ أيهما تكون معه أكثر انسجاما؟

ما أود أن أقوله لك يا صديقي هو أن حامل هذه الرسالة، والذي سيكون هو معلمنا وقائدنا يجب أن يكون بشرا مثلنا. لكن طبعاً لا يجوز أبدا أن يكون بشرا مثلنا وفقط، بل يجب عليه أن يتسم بصفات تؤهله لأن نثق به ونتبعه.

يجب أن يكون ذاك الشخص الذي إذا ما سمعنا عنه خبرا بدا لنا غريبا ولم نفهمه، أن نقول مباشرة أن العيب ليس فيه، بل إننا نحن الذين لم نفهم الأمر جيدا أو لم نحصل على المعلومات الكافية لتحليله.

من الطرق التي تساعد غلى فهم حدث ما أن تضعه في إطاره التاريخي وألا تقيسه على الأحوال عندك الان.

ماذا لو كان محمد كاذبا؟

أرى أن هذا من أهم الأسئلة التي سنجيب عليها ومع ذلك فهو أمر بيِّن وفي غاية البساطة.

إن الكاذب سيكذب لسببين: إما أن يكذب لتحقيق غاية أو أنه سيكذب لأنه يحب الكذب ويستمتع حين يكذب.

ولنقس على هذا أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

لا أعرف يا صديقي إن كنت تعرف عنه شيئا من قبل أم لا، أظن إن كنت مسلما فستكون تعرف بعض المعلومات بعيدا عن حجمها وصحتها، أما إن كنت غير مسلم وخاصة في الدول الأوروبية والأمريكية وغير الإسلامية عامة فقد تكون صورة الإسلام ورسوله مشوهة عندك، لذا أطلب منك -رغم أن طلبي صعب قليلا- أن تحاول نسيان تلك الأفكار والبحث عن الحق وأن تبحث قليلا في سيرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المهم يا صديقي، إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يلقب قبل بعثته بالصادق الأمين، أتدرك معنى أن تعرف بين الناس بخصلتين حسنتين؟؟ فهو صادق أي لا يكذب ولم يسبق له أن كذب من قبل طوال أربعين سنة التي تسبق بعثته، إذا فلو كان يا صديقي يهوى الكذب لما عرف بعكسه طوال تلك المدة، ولكان كذب ولو مرة واحدة على الأقل، قد تقول ماذا لو كان ماهرا في الكذب ولم يشتكى به يوما؟ يا صديقي من هو هذا الكاذب الذي لن يشعر الناس بكذبه ولو مرة لمدة أربعين سنة؟؟ بل إنه

لا يمكننا القول إنه تدرب على الكذب فأصبح خبيرا به؛ لأنه لم يكن له وقت لذلك، إذ أنه مذ كان طفلا لم يقل إلا الصِّدق.

فمثلا إن رأينا كذّابا ماهرا ستجد أن الكذب غُرس فيه منذ الصبا، وأنه بدأ بكذبات صغيرة أغلبها كشفت؛ ثم مع الوقت أضحى يطور في كذبه.

إن كان كاذبا ماهرا فلابد أنه كذب في صغره ولو لمرة واحدة، وكشف أمره. كم مرة كذبت أنا وأنت على أمهاتنا حين سألتنا من أخذ هذه من الثلاجة؟؟ كم مرة أخبرتها أن الأستاذ هو من أخركم؛ بينما كنت تلهو مع أصحابك؟ ألم تكشف أي كذبة ولو لمرة واحدة؟؟

قد تكون كذبت كذبة ولم تكشف لحد الان، في هذه أتفق معك، لكن لا تقل لي أنك مذ بدأت تتكلم وأنت تكذب دون أن تكشف ولو لمرة واحدة. أتمنى أن تكون قد فهمت ما أود أن أوصله لك في هذه النقطة الأولى. إنك يا صديقي إن أمعنت النظر في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتعجبت من قدر معاناته. أي كذاب هذا الذي سيظل على كذبه وهو يعاني من جميع أصناف المعاناة والاضطهاد؟ بل إن الصادق نفسه يكذب فقط لتجنب الألم، إن حاولنا أن نتمعن في سيرته صلى الله عليه وسلم فسنرى أن أغلب حياته كانت معاناة. إن كان يكذب من أجل النساء فقد عُرضن عليه وأبى، وإن كان يكذب من أجل المال فهو الاخر عرض عليه وأبى، وكذلك السلطة رفضها، رفض كل ما يقدم له على حساب ترك هذا الدين والدعوة إليه.
ذكر ابن هشام في السيرة النبوية، والبيهقي في دلائل النبوة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

(يا ابن اخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَّة[2] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من اباءهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله: ***قل يا أبا الوليد أسمع***، قال ***يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.)*** أتدري يا صديقي بماذا أجابه صلى الله عليه وسلم؟ [2]اسمع ما قال له: ***أقد فرغت يا أبا الوليد؟*** قال: ***نعم***، قال: ***فاسمع مني*** ثم تلا عليه صلى الله عليه وسلم الآيات الأولى من سورة فصلت، قال تعالى:

حمٓ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ1)كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ 2) بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ 3) وقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ 4)قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ5)الذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُون 6)

أهذا جواب كاذب يريد مالا؟ نساء؟ مُلكا؟

---

*[2] كلمة" **السِّطَة** "(بكسر السين) تعني التوسُّط بين القوم والشرف فيهم، أي أن يكون الشخص من أواسطهم وأشرفهم نسباً ومكاناً.*

إن قسناها بعقولنا لقلنا لو أنه قبل الملك وعندما يصبح ملكا يفعل ما شاء بهم، لكن الأمر حق ووحي.

من هذا الكذاب الذي سيصبر على شتى أنواع السب والشتم دون مصلحة -دنيوية ومادية-؟ سيصبر على رميه بالحجارة حتى يخرج منه الدم؟ سيصبر على الشنق وهو يصلي؟

إن تنصيبه رسولا تكليف قبل أن يكون تشريفا.

سوى العذاب والمعاناة؟ يا صديقي، ماذا أخذ معه إن كان كل ذلك كذب أعد نظرك في رؤيتك للرسول صلى الله عليه وسلم وابحث عن الحق ولا تكن من المعرضين المجادلين.

خاتمة

إن هذا الكتاب الذي تحمله بين يديك هو عبارة عن أفكار من كاتبة بسيطة مثلي، قد لا تتفق مع بعضها أو معظمها أو حتى جلها، لكن ما أتمناه أن تكون تأثرت وتحركت فيك ولو ذرة مشاعر ولو بكلمة واحدة ذُكرت هنا. تناقشت يوما مع شخص وقلت له إن ما من كتاب تحمله إلا ويفيدك بشيء، قد يبدو لك أنه لم ينفعك بشيء، لكن إن مجرد انتقادك لأفكاره بحد ذاته شيء نافع، بل إن كونك فقط تملك فكرة عن كتاب ما، ليس بشيء عديم الفائدة. إنني يا صديقي حاولت أن أجمع وأقدم لك الأفكار التي تعشش في ذهني عسى أن تنتفع بإحداها، لن أقول إن أفكاري وأجوبتي هذه صحيحة وأنها كاملة بل إن معظمها تشوبها أخطاء وكلها ناقصة، لكن ما يهمني أني حاولت أن أنفع نفسي وغيري ولو بفكرة بسيطة. وإني لموقنة أنك ما حملت هذا الكتاب بهذا العنوان إلا وفي قلبك نور، فأطلب منك يا صديقي ألا تطفئه وتحاول ريه ريثما يزهر فوالله إني لا أحب لك سوى الخير، وأرجو من الله تعالى أن ينفعنا وإياكم بهذا الكتاب.

تم والحمد لله

في كلميمة 2025

الفهرس

انطباعك الشخصي

على الكتاب